المحاضرة السادسة.

أنطوني غدنز والنظرية الانعكاسية الاجتماعية:

أولا-حياة ونشأة واعمال أنتوني غدنز Anthony Giddens

أنتوني غدنز Anthony Giddens، منظر بريطاني غزير الإنتاج، يعمل أستاذ لعلم الاجتماع في جامعة كامبردج Cambridge. علق كثيرا على كتابات المنظرين الكلاسيكيين، مثل دوركايم وفيبر، وبشكل واضح ماركس. كما كتب باستفاضة حول طبيعة النظرية السوسيولوجية، وقد انجذبت كتاباته ووجهات نظره بشكل واضح إلى منظرين معاصرين مثل إرفنج جوفمان Irving Goffman، كما أكتسب وضع من نظرياته حول إعادة البناء وأواخر الحداثة، وريادته في سياسة الطريق الثالث، ولد في لندن عام 1938، والتحق بجامعة هل Hull، وتخرج فيها عام 1959 في تخصص علم الاجتماع وعلم النفس، ودرس درجة الماجستير في علم الاجتماع في مدرسة لندن للاقتصاد، وأصبح عام 1971 محاضرا في قسم علم الاجتماع بجامعة ليسستر Leicester، وتقلد مناصب في جامعة سيمون فرازر Simon Fraserوجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس، أسس دار بوليتي للنشر عام 1985، وأصبح مدير مدرسة لندن للاقتصاد عام 1997، وارتفعت مكانته بوصفه أهم نصير لسياسة الطريق الثالث، وجعلته يقفز إلى الدائرة الداخلية لرئيس الوزراء البريطاني توني بلير، وفي عام 2004 منح أهم تكريم في حياته بمنحه لقب لورد غدنز لساوثجيب.

وكانت أبرز إسهاماته في النظرية الاجتماعية، أولا وهي نظرية البناء، أونظرية الهيكلة،أو نظرية التشكيل Theory of structuration،والتي ظهرت في كتابه "بناء المجتمع، عناصر نظرية الهيكلة la constitution de la société éléments de la théorie de la structuration، الذي ترجم 1987. والتي تشير الى عملية تشكيل المجتمع، بفعل النشاط الروتيني الذي يجري وفق قواعد معينة، وتحمل معنى البناء وعملية التكوين، إذ حاول غدنز أن يولف في صميم نظرية الهيكلة، علم اجتماع مزدوجا للبنى الاجتماعية والفعل. ترمي فكرة الهيكلة بداية إلى أن تجعلنا ندرك البنى الاجتماعية من زاوية الحركة. ويعرف غدنز ذلك بأنها:"عملية علاقات اجتماعية تتهيكل في الزمان والمكان عبر ثنائية الهيكلي"، ومن الممكن طرح مفهوم ثنائية الهيكلي او ثنائية البنية، بطرق مختلفة. يمكن أن نطرح بداية"أن الخصائص الهيكلية للمنظومات الاجتماعية

هي في الوقت نفسه شروط ونتائج للنشاطات التي يقوم بها العاملون الذين ينتمون إلى هذه المنظومات"، إذ يتعلق الأمر بنظرة دائرية لبناء العالم الاجتماعي، حيث تقع الأبعاد البانية في الوقت ذاته أمام الفعل، كما هي الحال بالنسبة إلى شروطه وبعده، كما هي الحال بالنسبة إلى منتجات هذه الشروط.

إلا أن مفهوم "ثنائية الهيكلي" يمكن رؤيته من زاوية مختلفة: "الهيكلي دائما ملزم وممكن في آن معا". وهو يحيلا إذن بشكل متلازم إلى مفاهيم القيود الاجتماعية والمهارات، على سبيل المثال، تعلم لغتنا الأم يقيد قدراتنا التعبيرية، ويحد بالتالي من هوامش معرفتنا وفعلنا، ولكنه في القوت نفسه، يمنحنا مهارة، ويجعل من الممكن حصول مجموعة كبيرة من الأفعال والتبادلات. إن علوم اجتماع القيود الاجتماعية والحتميات الاجتماعية تركز بالأحرى على الوجه الملزم لنظام الاجتماعي وتبدو أقل التفاتا إلى القدرات التي يمكن أن يمنحها للفاعلين.

تقدم لنا إذن نظرية الهيكلة، بإدراجها علم اجتماع للفعل، فاعلين اجتماعيين مهرة، وتفهم المهارة على أنها "كل ما يعرفه الفاعلون أو يعتقدونه، بطريقة مضمرة أو خطابية، عن ظروف فعلهم أو ظروف فعل الآخرين، والتي يستخدمونها في إنتاج الفعل أو إعادة إنتاجه". وتبرز هذه المهارة خاصة القدرة الانعكاسية للفاعلين "القادرين على فهم ما يفعلون أثناء ممارستهم إياه".وهذا ما قاد غدنز إلى النظر بطريقة مرنة إلى الروابط بين المعرفة العادية والمعرفة العارفة للعالم الاجتماعي، دون اللجوء إلى موضوع "القطيعة مع علم المعرفة": لا يوجد خطّ فاصل واضح يفصل بين الفاعلين "العاديين" والمختصين عندما يتعلق الأمر بالتفكير الاجتماعي الموثق. بالتأكيد توجد خطوط فصل، ولكنها ضبابية لا محالة. من جهة أخرى، وضمن رؤية دينامية لهذه النفاذية، يلحظ أن نظريات علوم الاجتماع "تتداخل تقريبا مع نظريات قيد الاستخدام" عن الفاعلين. لكن هذا لا يعني أن الفاعلين والباحثين يستخدمون أنماط المعايير نفسها لتقييم تحليلاتهم. يتحدث غدنز عن "معايير المصداقية"، التي يستخدمها الفاعلون لإدراك ما يقومون به، و"معايير الصلاحية" التي يعود إليها الباحثون في العلوم الاجتماعية لتوطيد نتائج أعمالهم أو لحكم على أعمال الآخرين.

مع العلم أن الخصائص المهيكلة للمنظومات الاجتماعية تمتدبالنسبة إلى غدنز، سواء في الزمان أو في المكان، أبعد بكثير من الرقابة التي يمكن أن يمارس كل فاعل شيئا منها، حيث تشكل عواقب الفعل غير الإدارية إذن، مع اللاوعي، واحدا من الحدود الرئيسية لمهارة الفاعلين الاجتماعيين. وضمن هذا التصور، أدرج غدنز في نظريته عن الهيكلة مفهوما تقليديا في علم الاجتماع، تنبثق من مسار الفعل بلا انقطاع عواقب لا

يرغب فيها الفاعلون، وبطريقة رجعية، يمكن لهذه العواقب غير الإرادية أن تصبح شروطا غير معترف بها لأفعال لاحقة. إنها إذن جدلية حقيقية بين الإرادي وغير الإرادي تلك التي يقدمها غدنز، الإرادي نية فاعل ما في تنفيذ فعل ما، كونه مأخوذا ضمن متواليات معقدة للفعل والتي تسعى إلى التلفت منه، والتي تمضي بالفعل أبعد منه. يضرب غدنز لذلك مثل النور واللص، الفاعل الذي ينير منزله عند عودته، ينذر اللص الموجود فيه، والذي سيهرب، ستوقفه الشرطة وسيؤول به الحال إلى السجن. والحال هذه، لم تكن نية الفاعل إلا إضاءة الغرفة. يصبح هذا المفهوم إذ ذاك وسيطا بل حتى نوعا من موصل الأفعال والتفاعلات اليومية نحو فضاءات أكثر اتساعا، من وجهة نظر مكانية وزمانية، ودون أن ندرك الأفعال من وجهة نظر مجموعة ما.

وهناك جانب آخر من نظرية غدنز عن الهيكلة يربط العامل–الفاعل–بالقوة، مؤكدا انا العامل لا يصبح كذلك إذا فقد قدرته على العمل–الفعل–بطريقة مختلفة، على أي حال فإنه في ضوء وجود جدلية تحكم قائمة داخل طبيعة العامل، وترتبط بجدلية الاستقلال والتبعية، فإن الخسارة الكاملة للعامل تصبح نادرة الحدوث. كما أنتج غدنز، التوازي مع تطور نظرية الهيكلة، علم اجتماع تاريخيا خاصا به، وبوصفه نقدا إيجابيا للمادية التاريخية لماركس التي اعتبرها مختزلة اقتصاديا ومحل شك منهجيا. وفي كتابه"نقد معاصر للمادية التاريخية" يتبنى وجهة نظر غير وظيفية، وغير تطورية ومتعددة الأبعاد ومرتبة تاريخيا إزاء التغير الاجتماعي، ويقوم مشروعه التاريخي على دمج نمط مجتمعي ثلاثي، يميز المجتمعات القبلية والمجتمعات المنقسمة طبقيا عن المجتمعات الطبقية، وتحدد هذه المجتمعات وفقا لمستوى تكاملها الاجتماعي والنظامي ولظرفية الزمان والمكان.

وطور غدنز في كتابه "الدولة القومية والعنف"، إطار العمل هذا، وعدله ليتناول التنمية المشركة ذات التعقيد الرمزي للرأسمالية والصناعية (Industriaalism) والدولة القومية، وبالنسبة إلى غدنز، تقدم هذه النطاقات الثلاثة أساسا لأربع سمات لا تتجزأ، وإن كانت متصلة، للمجتمع الحديث، وهي: المؤسسة الرأسمالية والإنتاج الصناعي، والرقابة الفائقة، والسيطرة المركزية على وسائل العنف، وتطورت سمات المجتمع الحديث هذه في المرحلة الثالثة من أعماله، ويؤكد غدنز في كتابه "نتائج الحداثة" ان الملمح النقدي للتكوين الاجتماعي الديناميكي الذي بدأ في التطور في أوروبا من القرن السابع عشر تقريبا، كان في ذروة حدته – ومختلف نوعيا عن سابقه– بالنسبة إلى النظام الاجتماعي التقليدي، ويرتبط هذا الانفصال بتحول عميق على المستويين العالمي والشخصي.

ثانيا–الانعكاسية الاجتماعية عند أنتوني غدنز:

إنه لمن المفيد جدا أن نلتفت للمعالجة الاشتقاقية للألفاظ، لنتفطن الى الدلالة أو الدلالات التي تتفتق عن الملفوظات، ففي وضعها هذا ينبئنا الاشتقاق بأن لفظ الانعكاسية réflexivité يشير: إلى"العلاقة الدائرية بين المسبب والسبب. بحيث يؤثر احداهما بالأخر،إذ يصبح مستحيل تحديد من هو السبب أو المسبب. وفي علم الاجتماع، تعني الانعكاسية حالة ارتداد الحالة على نفسها. ومن هذا المنظار، تدل على قدرة مؤثر ما على تحديد قوة المجتمع، ومنثم التأثير عليهم ليغيروا وضعهم في الهيكل الاجتماعي. في حالة الانعكاسية البسيطة، يتأثر الفرد بمحيطه. أما في حالة الانعكاسية العليا، يكون الفرد هو المؤثر على بيئته او مجتمعه. حيث يتشارك لفظ الانعكاسية مع الفاظ أخرى من خلال الحقل الدلالي، كمنعكس والقابل للانعكاس بواسطة مسطح ما، والذي يغير الاتجاه والتفكير والتقدير وخاصة الارتداد الى الوعي، لإعادة التفكير والتقييم أو الذي يتخذ نفسه موضوعا للتفكير، بحيث نصادف نفس الفكرة في القواعد لما يتم الحديث عن ضمائر انعكاسية، وكذا في الرياضيات في تعيين العلاقات الانعكاسية، وهي قضايا على اختلاف حقولها تخضع لنفس المبدأ.

إذ شكلت الفلسفة الرحم الأول الذي احتضن المفهوم، سيما وأنه غذى كتابات هيغل وكانط وديكارت وروسو، لينتهي عند المتأخرين منهم كمارلو بونتي ودولوز وريكرت وغيرهم، مشكلا اشكالا فلسفية ما فتئ يطرح في الفلسفات الفينوميولوجية، الى التأويلية الى المثالية المحدثة الى البراغماتية، وأخيرا التحليلية حول ماهية الانعكاسية بين الوعي والنقد، ولأي الصيب الاوفر وعن الوعي المتعالي للذات والوعي النقدي وتستحضر استثنائيا المرآة التي تستطيع أن تعكس الصور وتردها إلي أصحابها المتأملين وهو في حد ذاته عمل مفيد وديناميي لأنه ارتدادي انعكاسي وتفكيري غايته تحقيق الفهم.

تتمثل النزعة الانعكاسية في قيام الباحث يجعل نفسه موضوعا علميا يسائل ويتساءل فيه عن قيمة منسقه من حيث التوفيق أم لا في اختيار الأدوات البحثية من منهج وأدواته، أضافة إلى مساءلة شروط إنتاجية المعرفي.حتى وان كان المفهوم قد وظف من طرف غولدنر فان الفضل يعود الى كل من دافيد بلور وبورديو وغيدينز في جعله يؤسس لمفهمة جديدة ويجن أقلاما في هذه الوجهة وجدت فيها الخلاص من المشاكل التي انحبست فيها العلوم الإنسانية وعلم الاجتماع أحدها لمدة ليست باليسيرة مما خلق شرعية ما لتداول لفظة أزمة علم الاجتماع. من الواضح أن الانعكاسية تيمة أبستمولوجية تتجاوز مجرد الطرح المنهجي، حيث يعتبر انطوني

غدنز الانعكاسية بعدا مكونا ومشكلا للاجتماعي، تكتسب مكانها في نظرية للفعل أو لنقل علم الاجتماع الفعل على خلفية أن الافراد حسب غدنز دوما مزودين بقدرة أو كفاءة تتمثل فيما يعرفه الفاعلون حول ظروف فعلهم وفعل الآخرين، والذين يوظفونها في الإنتاج وإعادة إنتاج الفعل أو مقدرتهم على فهم ما يفعلون أثناء أدائهم للفعل،انطلاقا من مسلمة أن كل البشر مزودين بالقدرات التي تتيح لهم معرفة شروط وظروف فعلهم اليومي من الطبيعي، والحال هذه، أن يمارسوا رقابة تفكيرية انعكاسية على افعالهم وعلى بقية الفاعلين ويتحركون بطريقة روتينية في الابعاد الاجتماعية التي يرد الفعل في سياقها.

لكن هذه الانعكاسية لا تعمل إلا جزئيا في المستوى الخطابي، مما يقود غدنز إذن إلى التفريق بين نمطين من الانعكاسية: الوعي الخطابي والوعي العملي. حيث يحيل الوعي الخطابي إلى كل ما يمكن أن يعبر عنه الفاعلون يطرق متنوعة شفويا أو كتابيا، أي ما نختصر فيه عادة مفهوم الوعي. ويعني الوعي العلمي، وهو مفهوم أكثر أصالة،كل ما يعرفه الفاعلون بشكل مضمر، وكل ما يعرفون القيام به في الحياة الاجتماعية دون الحاجة إلى التعبير عنه مباشرة بطريقة خطابية. لا يعدم هذا المفهوم صلته بمفهوم الرتابة. فالحدود بين وجهي المهارة هذين عائمة ومتغيرة. على النقيض من ذلك. يلحظ غدنز، وبالإشارة إلى نظرية سيغموند فرويد Sigmund Freud في التحليل النفسي، أنه توجد حواجز، وخاصة الكبت، بين الوعي الخطابي واللاوعي. ذلك أن اللاوعي يتضمن أشكال الإدراك والاندفاع المكبوتة كليا، أو التي لا تظهر في الوعي إلا بعد تحويرها. يشكل اللاوعي أحد حدود مهارة الفاعلين البشر، الى جانب جهل الفاعل بعض ظروف فعله، علاوة على أنه يفهم نظريا أسس فعله غير أنه لا يستطيع بالضرورة على حوافزه. فالحافز هو الرغبة التي تلهمه غير الأسباب التي تكون ذات طابع عقلاني وبالتالي يقيم غدنز تميزا بين مقدرة الفاعلين على التعبير بطريقة خطابية على نواياهم والأسباب القائمة من وراء فعلهم، غير انهم لا يوفقون عندها يتعلق الأمر بالبواعث وهو الفرق الموجود بين الوعي الخطابي أي ما يستطيع الفاعل عزله وفعله والوعي العملي وهو ما يعرف الفاعل فعله فقط والبواعث اللاشعورية.

وهذا ما يؤكده عليه انطوني غيدنز عندما يرى أن هناك سبب أساسي لصعوبة التحرك وقيادة التغيير بوضوح. وهو يتعلق بالارتدادية أو الانعكاسية في المعرفة الاجتماعية. ففي العلوم الطبيعية بإمكانك أن تدرس وأن تتوقع سلوك الجسم ما إذا كانت قد درست خصائصه وانتكاساته تجاه هذه البيئة أو تلك. أما في العلوم

الاجتماعية فاعلة يختلف سلوكها تبعا للمعارف التي بحوزتها عن الحالة. إن مفهوم الارتدادية يعني أننا نعيش ضمن مجتمع ليس محكوما بالضغوطات الطبيعية أو برتابة التقاليد. فكل قرار تتخذه، كاختيار أن تلبس بهذا الشكل أو اختيار هذه البزة أو ذاك القميص، وهو فعل اعتيادي ولا يمكن أن يتم بشكل تلقائي، فهو يشكل جزءا من عملية دينامية لتشييد الذات، إن قرار أن تلبس بهذا الشكل أو ذلك يفترض أن تنظر حولك وأن تستعلم عن طرز الألبسة وأن تقوم بالاختيار... كل ذلك يشكل جزءا من الطبيعة الارتدادية للذات في المجتمعات المعاصرة.

وبالتالي تصبح المعرفة التي بحوزتنا عن المجتمع عاملا يرتد بفعله على المجتمع بالذات، وهذا ما بينه علماء الاجتماع الذين يواجهون الفرد الاجتماعي كفاعل كفء. مثلا، لا يمكننا التنبؤ اليقيني بتصرفات العملاء الاقتصاديين (المنتجين والمستهلكين)، فهم يرتبون بشكل دقيق فعلهم تبعا لمعارف التي بحوزتهم عن الواقع الاقتصادي، فالبورصة تتطور تبعا لعوامل موضوعية، لكن أيضا وبشكل خاص تبعا للمحاكمات يجريها المستثمرين عن حالة السوق. هذه الاسواق التي تعمل على الصعيد العالمي وتفلت بشكل كبير من القدرة على التدخل وعلى التنظيم الجماعي. زد على ذلك أن هذه الأسواق تتبع منطقا يكون فيه مفهوم الارتدادية أساسيا. أجريت محادثات مع رجل المال جورج سوروس Soros. لقد لاحظنا أنه توصل هو أيضا بطرق تختلف عن طرقي إلى إعادة اكتشاف مفهوم الارتدادية هذا. كان الاختلاف الوحيد والهام هو أنه نجح في كسب 10 مليون دولار، وليس أنا!، إن سير عمل الأسواق المالية مثال جيد لطريقة التي يتشيد بها مستقبلنا. لأنه في عالم أكثر ارتدادية انعكاسية تختفي القدرة على التنبؤ بالمستقبل، لأن التوقعات التي تقوم بها بصدد المستقبل يمكن أن تسرع، أو على العكس، أن تلغي الشروط التي سيتم بها إنتاج الأشياء. هذا صحيح في الحياة الفردية كما في الحياة الجماعية.

والملاحظ أن غدنز بعدما وضع مسلماته الفكرية يخلص الى اسقاطها على تيمة الحداثة، فيطرح فكرة مغايرة يذهب فيها الى كون علم الاجتماع في عصر الحداثة وما بعد الحداثة، اكتسى قيمة انعكاسية تتمظهر في أن الأفكار التي يأتي بها مثلا تتسلل الى الافراد وتؤطر افعالهم، حيث انهم يفكرون وفق مبادئ النظريات السوسيولوجية، مما يجعل النظرية السوسيولوجية في غدو ورواح بين الباحث وموضوع بحثه، مما جعل انطوني جيدنز يضع تعريفا للحداثة الانعكاسية بأنها: "السبب والمسبب، وهذا يعني ان الحيز الاجتماعي ليس فقط مكن الفعل ولكن مكان التفكير في الفعل. الانعكاسية هي ملك للفعل الاجتماعي الذي يقود الفعل للتأثير على الفاعل

والعكس، من خلال ارجاع دائم بين وصف الوضعيات والوضعيات نفسها" . وما يساهم في ذلك كون الحداثة هذه تتسم بانتشار مهول لوسائل الاتصال، مما يجعل المعلومة ناهيك عن كونها مادة ممتازة للنقد والتعليق تؤثر مباشرة على حياة الناس، وعليه تظهر الوشائج العميقة بينهما، وهكذا تتضمن التفكيرية أو الانعكاسية مصير علم الاجتماع، لأنها تحمله إلى أقصى حدوده وهب ذاتها حدود النقد وفي الحالة النقيض فانه يلعب السلطة لمساهمته في ستر الحقائق والتدليس عليها.من المؤكد اننا نقف هنا على مرمى حجر أو نظر من نظرية هابرماس الموسومة" بالفعل التواصلي" والتي يحركها نفس المهماز الفكري المتمثل في دور وسائل الاعلام المفترض في توسيع دائرة الديمقراطية.

والأمر الأكثر أهمية أنه ييسر انفصال النظم الاجتماعية، ويشير الانفصال إلى رفع العلاقات الاجتماعية من سياقات تفاعلاتها الاجتماعية التي تسمح في إعادة بنائها عبر مساحات زمنية ومكانية أكبر، إن الحداثة هي عملية عولمة في طبيعتها، وهكذا يربط التباعد المكاني – الزمني المحلي بالعالمي من خلال الانفصال، بالرغم من وجود عمليات إعادة تجمع يتم من خلالها تقليل انفصال العلاقات الاجتماعية، والنوعان الرئيسان من آلية الانفصال هما: الشواهد الرمزية و النظم الخبيرة والشواهد الرمزية هي وسائل إعلام يمكن تداولها مثل النقود، بغض النظر عمن يستخدمها، بينما النظم الخبيرة هي نظم من الانفجار التقني والخبرة التخصصية، مثل الأطباء والمحامين والمعماريين والعلماء.

وهنا تبرز انعكاسية نظرية الهيكلية عند غدنز التي تعتبر ملمحا رئيسا للعمل الاجتماعي، لأنها تقوم على معنى خاص في نظريته حول الحداثة، وفي ظل الظروف الناشئة من الانعكاسية الكلية Wholesalc Reflexivity، فإن كل شيء بما في ذلك الأفراد والمؤسسات يصبح منفتحا أمام الانعكاس والرقابة الذاتية، بما في الانعكاسية في حد ذاتها ويتم تناول الممارسات الاجتماعية باستمرار، ويعاد تناولها في ضوء المعلومات الداخلية وعمليات التقييم الذاتي. ويؤدي ذلك إلى أن يأخذ غدنز في اعتباره تحول الملامح الشخصية للوجود اليومي في الحداثة، وتدفع ضغوط العمل والحياة المنزلية الأفراد باتجاه إعادة البناء المستمرة للهويات الذاتية باعتبارها جزءا من مشروع انعكاسي، وفي ظل هذا المشروع القائم على السيرة الذاتية، بصورة لا يمكن تفاديها، تتم الاختيارات الفردية في سياق مجموعة من المنحنيات والخيارات متولدة بواسطة نظم مجردة، وترتبط الحداثة بحدوث تحول في أسلوب الحياة، تحول في الحميمية التي تنتظم بها صلات الفرد الانعكاسية، وتتشكل باعتبارها

علاقات صرفه ترتبط بالالتزام ومطالب لصالح الحميمية، وتتطور مثل هذه الثقة من خلال الإفصاح المتبادل فقط التي توجد خارج العلاقة ذاتها. للتنسحب الانعكاسية الى مجال أوسع من زاوية تداعياتها الاجتماعية، فالشرعية لعلمية ليست وليد الصدفة بل هي بناء اجتماعي حسب انطوني غيدنز التنشئة التي تستند للإنتاج العلي مكانة غير مشكوك فيها مما ينجم عنه احتكام لأشكال التخصصات لاسيما التقنية منها وترد نفس هذه النظر بشكل أكثر راديكالية على لسان باك عندما يصر على أن الخطر لم تعد الطبيعة وانما هو البحث العلمي بفعل أن استعمالات العلم الحديث لم تعد سيطرة الانسان بل تنفلت منه. لتظهر بذلك الانعكاسية كثورة معرفية وعملية في آن معا بوصفها تستجيب لتجاوز الإشكالية القديمة الذاتي في مواجهة الموضوعي والعكس تحت وطأة المناهج الكيفية منذ لحظات تلعثمها الأولي عن مدرسة شيكاغو خالصة إلى الإقرار بوجود نسبية مطلقة تجعل الحقيقة العلمية تقاطع وجهتي نظر الباحث والمبحوث معا ليكون أكبر إنجازاتها التوكيد على انتفاء وجود معرفة مطلقة ولكن توجد تأويل ممكنة لفهم ممكن.

تبدو الانعكاسية كصيحة أخلاقية وديمقراطية بدليل قول بورديو" هناك ضرورة لإدمان الرؤيتين، الموضوعية والمنظوراتية بفضل عمل ينحو الى موضعة الموضعة، القيام بنظرية لأثر النظرية، تفرض نفسها لسبب أخر أساسي بلا شك من وجهة النظر النظرية أو الأخلاقية والسياسية: البناء العلمي للفضاء الموضوعي للأعوان وللخواص الفاعلة تنحو الى تعريض الإدراك الشامل والغامض لفئة الأقوياء لإدراك تحليليا وانعكاسيا يحطم إذن الغموض والضباب وعدم الدقة والريبة التي تشكل التجربة العادية.إن فهم موضوعيا العالم الذي نعيش فيه دون فهم منطق هذا الفهم، وما يفصله عن الفهم العملي، هو الامتناع عن فهم ما يجعل هذا العالم قابلا للعيش ومعاشا.